ظاهرة الإبدال بين الصوامت مقاربة صوتية دلالية في ضوء علم الأصوات الوظيفي

عمر بوبــقــار

جامعة ورقــلة

الملخّص: تعدّ ظاهرة الإبدال بين الصّوامت أو الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض على مستوى بعض الوحدات اللّسانية(الكلمات)، من صميم علم وظائف الأصوات أو الفونولوجيا، فقد يمتدّ تأثيرها إلى البنية الدلالية للكلمة، فيسهم في تغيير دلالتها المعنوية، أو إنّ الكلمة تبقى محافظة على دلالتها الأصلية بالرغم من ذلك الإبدال، وقد تتبعت هذه الظاهرة في القراءات الشاذة، وفي صلتها باختلاف لهجات العرب وتعدّد عاداتهم النّطقية، في إطار التطور اللغوي وما تبيحه قوانينُ اللّغةِ الصوتيةُ.

الكلمات المفتاحية: الإبدال، الصّوامت،علم الأصوات، علم الدلالة، علم وظائف الأصوات، القراءات، اللّهجات.

***Résumé**:*

Parmi les phénomènes acoustiques qui sont au cœur de la phonologie, se trouve le phénomène d'interchangeabilité entre les voyelles courtes. Ce constat situé au niveau de certaines unités linguistiques silencieuses influe sur la structure sémantique, contribuant ainsi à modifier le sens. Du mot peut aussi provenir l'importance de l'interchangeabilité authentique. Néanmoins, ce phénomène évoqué dans les lectures déviantes, et leurs relations avec les différents dialectes des Arabes ainsi que leurs accents variés.

***Mots Clés:** d'interchangeabilité, phonétique, la phonologie, les récitations, les dialectes.*

الإبدال في اللّغة:

الإبدال في اللّغة هو التغيير، وإقامة شيء مقام آخر، بأن ترفعه وتضع غيرَه مكانَه؛ يقول ابن فارس:« الباء و الدال و اللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب»[1].

ويقول ابن"سيده":« حد البدل وضع الشيء مكان غيره»[2]، ويقول الكفوي: « رفع الشيء ووضع غيره مكانه»[3]، فالإبدال يقوم أو يتحقق بإرادة تغيير بين شيئين بأن تجعل أحدَهما ذاهبا وثانيهما وافدا.

الإبدال في الاصطلاح:

لا يبتعد المعنى الاصطلاحي للإبدال عن معناه اللغوي؛ إذ يصبح الشيء الذاهب أو المرفوع، والشيء الوافد أو الموضوع مكانَه، صامتين أو حرفين، وعليه فالإبدال في عرف النحويين والصرفيين، هو جعل حرف مكان حرف آخر؛ يقول ابن يعيش:«البدل أن تقيم حرفا مقام حرف»[4].

ثمّ إنّ هذه الظاهرة الصوتية قد شاعت، على ألسنة ناطقي اللغة العربية، فأصبحت سُنّة من سُننهم أو قانونا من قوانينهم في أثناء ممارسة اللغة، حتى قال ابن فارس: « من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، يقولون:مدحه و مدهه، وفرس رِفَلٌّ، و رِفَنٌّ»[5]، وهذا الثعالبي يورد التعريف نفسه، مع التوسع في ضرب الأمثلة؛ فيقول:« من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض في قولهم: مدح مده، و جد و جذ و خرم و خزم و صقع الدّيك وسقع وفاض أي مات وفاظ، وفلقَ الله الصبح وفرقه، و في قولهم: صراط وسراط ومسيطر ومصيطر ومكة و بكة»[6].

أنواع الإبدال : [7]

أ) **الإبدال المطرد أو القياسي :**

و هو الإبدال الذي يسير على نمط مطرد أو ثابت، وله قوانين وشروط، وضوابط عامة متى تحققت، وجب أو حدث الإبدال، وهذا هو الإبدال الصرفي الشائع أو

الضروري أو اللازم، و هو من صميم دراسة التصرفيين، ولم يدرسه اللغويون لاطراده وعدم اختلاف اللهجات فيه.

ب) **الإبدال غير المطرد أو السماعي :**

وهذا عكس النوع السابق إذ لا يخضع لضوابط أو قوانين معينة، وإنما يحكمه السماع عن العرب، وهو وثيق الصلة بتعدد اللهجات، فلا« يكون عند العرب جميعا، وإنما يختلف باختلاف القبائل..»[8]، وهو الإبدال اللغوي الذي يعني قيام صامت مقام صامت مطلقا.

حروف الإبدال :

لا نظفر باتفاق بين اللّغويين والصّرفيين حول عدد حروف الإبدال؛ فهي عند "سيبويه"[9] والمبرد[10]وابن منظور[11]أحد عشر حرفا، وعند "القالي" اثنا عشر حرفا جمعها في قوله:« طال يوم أنجدته »[12]، أو كما ذكر "ابن عصفور"، يجمعها قولهم:«أُجُدٌ طُوِيَتْ منهلا»[13]، وعند الفيروز آبادي، أربعة عشر حرفا؛ هي: «أنجدته يومَ صالَ زُطِّ»[14]، وكذلك عند "الچاپردي"؛ يجمعها قوله:« وأنصت جد طاه يزمل»[15]، وهي تسعة عند ابن مالك الطّائي؛ صاحب شرح الكافية الشافية ، يجمعها قولنا:« هدّأت موطيا»[16]، أمّا الحروف التي يقع فيها الإبدال الشائع لأجل الإدغام فهي كل الحروف إلاّ الألف، أمّا حروف الإبدال الشائع في غير إدغام فهي:«أَحَدٌ وعشرون حرفاً يجمعُها قولُك:بِجِدٍّ صَرَفُ شَكِسٍ أَمِنَ طَيَّ ثَوْبِ عِزَّتِهِ»[17]...وأمّا حروف الإبدال النادر، فهي ستة: الحاء والخاء، و العين والقاف و الضاد والدال[18].

القرابة الصوتية بين المبدل و المبدل منه :

الإبدال ــ كما سبقت الإشارة ــ هو حلول صوت أو صامت محل صامت آخر، فالكلمة تبقى محافظة على صوامتها، إذ لا فرق بين الكلمة الأصلية و الكلمة الجديدة، إلا في حرف واحد، مع الإشارة إلى أنّه لا فرق بين الكلمتين دلاليا.

ولكن لابد من توافر صلة صوتية بين الصامتين؛ المبدل و المبدل منه، تتجلى بخاصة، في اتحادهما في المخرج، إلى جانب اشتراكهما في بعض الصفات، أو على الأقل قرب مخرجهما وصفاتهما، على نحو ما نجد بين الحاء والهاء في قولهم مدحه و

مدهه، وبين الثاء والفاء في قولهم:جدث وجدف، وبين القاف والكاف في قولهم:عربي قح، وكح[19]وبين الصاد و السين في صراط وسراط ومسيطرة ومصيطرة وصقع الديك وسقع، وبين اللام والراء في قولهم فلق الله الصبح وفرقه؛ يقول عبد الصبور شاهين: «لا يكون الإبدال إبدالا حقا إلاّ إذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صوتية، كقرب المخرج أو الاشتراك في بعض الصفات كالجهر والهمس والشّدة والرّخاوة..»[20].

إنّ اشتراط وجود علاقة صوتية بين الصامتين:المبدل و المبدل منه هوــ في الوقت ذاته ــ اشتراط لوجود التشابه بينهما، أو بين الحرف المبدل وباقي حروف الكلمة، الأمر الذي يبرر ويسهل في آن معًا الإبدالَ الواقع بينهما، ولعل هذا ما جعل "برجشتراسر" يقرر أنّ« التشابه من أهم العوامل التي سببت إبدال الحروف»[21].

وقد عقد ابن جني في كتاب الخصائص بابا أسماه:« بابٌ في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدُهما مكانَ صاحبه»[22]، و من الأمثلة التي استشهد بها:سُكَّرٌ طِبَرْزَل وطِبَرْزَن، و هتلت السماء و هتنت، للإبدال الواقع بين اللام و النون، وهذا "ابن سيدة" يتحدث عن كثرة الإبدال الواقع بين حروف العلة؛ الألف والواو و الياء، مبيّنا أنّ من أسباب ذلك، المناسبةَ الموجودةَ بينها، فيقول:«إنّ حروف العلة أحقّ بالإبدال من كل ما عداها من الحروف لاجتماع ثلاثة أسباب؛ الخفّةِ والكثرة والمناسبة بين بعضها »[23] ثم يقول:« وأمّا المناسبة فتطلب جواز قلب بعض إلى بعض من غير إخلال بالكلمة من قِبَل أن المقارب للحرف يقوم مقام نفس الحرف فكأنه قد ذُكر بذكره نفسُ الحرف وليس كذلك المتباعد منه... » [24]

ويقول في موضع آخر، مبررا إبدال الجيم من الياء، في قولهم: تميميّ لـــ: تميمي:«الجيم تبدل من الياء في تميمي ونحوه تميميّ لأنها تواخي الياء بالمخرج مع الطلب لحرف أجلد من الياء في الوقف إذ كانت الياء تخفى في الوقف لاتساع مخرجها فأبدل منها الجيم، لأنها والياء والشين من مخرج واحد وهو وسط اللسان» [25].

إنّ إقامة صامت مقام آخر، في إطار ظاهرة الإبدال لا يعني أن الإبدال قائم على الإرادة والقصد، إذ لا مجال للإرادة والقصدية هنا، ذلك أنّ الإبدال مرتبط بالتطور و التغيّر اللّذَيْن يصيبان أصوات الكلمة، والزمنُ في امتداده وصيرورته، وحده الكفيل بحدوث الإبدال، وأنه ليس من حق الإنسان أن يقوم بإحلال صوت محل آخر[26].

فالتطور الصوتي، يُعد سببا من أسباب حدوث الإبدال، ينضاف إليه اختلاف اللهجات، فكثير من نماذج الإبدال، وثيق الصلة باختلاف اللهجات و تعددها، ومن ثَمّ تُفسَّر الكلمات التي لا يختلف نطقها من قبيلة إلى أخرى، إلاّ في صامت واحد، مع اتحادها في الدلالة المعنوية، على أنها من الإبدال الراجع إلى تعدد لغات العرب.

وبالنظر إلى التطور الصوتي، تكون إحدى الكلمتين، أصلا والأخرى فرعا عليها أو تطورا عنها، وهذا تحكمه درجة الاستعمال، فالكلمة الأكثر استعمالا والأوسع انتشارا هي الأصل أمّا الأقل استعمالا، ففرع عليها، أمّا إذا تساوت الكلمتان في درجة الاستعمال، ولا مزية أو مفاضلة لإحداهما على الأخرى، فإنّ كل واحدة، حينئذ تعد أصلا، ومن ثَمَّ لا يبعد أن يكون ذلك من قبيل اختلاف اللهجات.

يقول إبراهيم أنيس:« حين تستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حينا أو من تباين اللهجات حينا آخر، لا تشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي»[27].

<u>الإبدال و نظرية السهولة و الانسجام الصوتي:</u>

إنّ ظاهرة إبدال الصوامت، وهي تشيع على ألسنة ناطقي اللغة، إنما جاءت لتحقيق قدر من السهولة واليسر، في ألفاظ معينة أثناء ممارسة العملية الكلامية، ومن ثَمّ دفع الثقل، يقول الشريف الجرجاني:« الإبدال أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل»[28].

ويتحقق ذلك بوساطة تقريب الأصوات بعضها من بعض وجعلها على قدر من الانسجام الصوتي، فتصبح خفيفة، ويتم الاقتصاد في الجهد العضلي، في إطار ما يعرف بـــ:« قانون الجهد الأقل»[29].

يقول عادل هادي حمادي العبيدي: « على أنّ الأصل في الإبدال أن يكون فيما تقارب وتدانى من الحروف، وهذا قائم على اختلاف اللغات، والغرض منه إرادة الخفة والمجانسة »[30].

ويقول في موضع آخر:« فالذي يراد من عملية الإبدال هو تقريب بين صوتين متجاورين والتخفيف على الناطق بأن لا يتكلف أثناء النطق ولا يبدل جهدا»[31].

وتجمل الإشارة إلى أنّ الذي يعنينا في هذا البحث هو الإبدال اللغوي، الذي يعني إقامة حرف مقام آخر والإبقاء على سائر حروف الكلمة، وهو إبدال قائم على اختلاف لهجات العرب، ويقع في حروف كثيرة ويحكمه السماع، وقد وجدنا أبا الحسن بن الصائغ يقول:« قلما تجد حرفا إلا وقد جاء فيه البدل، ولو نادرا»[32].

وهذا ابن فارس، بعد أن ضرب أمثلة عن هذا النوع من الإبدال، يصفه بالكثرة، إذ يقول:« وهو كثير مشهور، وقد ألّف فيه العلماء »[33].

أمّا الإبدال الصرفي الذي يسير وفق نمط مطرد، وقواعد ثابتة، وشروط متى تحققت وجب تنفيذه ، بصرف النظر عن تعدد اللهجات ، بل هو إبدال ضروري ، له حروف تسعة لتُحقِّقَه، والتي يجمعها قولهم:«هدأت موطيا»، فهذا النوع من الإبدال ليس محله هذا البحث.

ولعل من المهم أيضا الإلماع، إلى أنه قد نجد أنفسنا أمام إبدال مختَلَف فيه؛ إذ إقامة صامت مقام آخر في كلمة ما، قد يوجد فريقين من اللغويين؛ فريقا يذهب إلى اتحاد أو تطابق المعنيين، وفريقا آخر يذهب إلى تقاربهما، وهنا يصبح الصامت المبدل والمبدل منه فونيمين وظيفيين يؤدي وضع أحدهما مكان الآخر إلى التفريق بين المعاني.أما عن نماذج الإبدال بين الصوامت في القراءات الشاذة، فنذكر:

إبدال الضاد صادا:

الضاد عند "سيبويه" صوت مجهور يخرج من« حافة اللسان وما يليها من الأضراس»[34]، وهي كذلك عند ابن جني، إلاّ أنها من أول حافة اللسان[35]، أمّا الصاد فصوت مهموس، يخرج: « مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا»[36]، وقريب من هذا قول ابن جني، حيث يقول: « ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج

الصاد...»[37] و كل من الضاد و الصاد عند المحدثين، صوت أسناني لثوي[38]رخو مطبق مستعل مفخم[39]،إلاّ أنّ الضاد مجهور انفجاري في حين إنّ الصاد مهموس صفيري[40].

ومما سبق فإن القوانين الصوتية ، تبيح وقوع الإبدال بين صامتي الضاد والصاد ، وذلك لكونهما من مخرج واحد (الأسنان واللثة) أضف إلى ذلك اشتراكهما في أغلب الصفات، وبخاصة الإطباق، الذي يعد صفة قوة لهما ولا يشترك معهما فيها، إلا الطاء والظاء.

هذا وقد ذكرت كتب اللغة نماذج كثيرة لحدوث الإبدال بين هذين الصامتين، ولهذا صلة باختلاف وتباين لهجات العرب ؛ من ذلك أنّ الحصب والحضب،هو: ما يلقى في النار من حطب وغيره، وكذلك نصنص ونضنض لسانه:إذا حركه، وصلاصل وضلاضل الماء ، بقاياه، وانقاص وانقاض، بمعنًى، وكذلك القبصة و القبضة، و قيل القبصة أصغر من القبضة والامتضاض مثل الامتصاص، والقضب والقصب، بمعنى القطع، ومنه سمي الجزار: قصابا[41].

وقد جاء إبدال الضاد صادا في بعض القراءات الشاذة، من ذلك:

قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ**﴾[الأنفال:65] قرأ الجمهور (حَرِّضْ) بالضاد من التحريض، بمعنى:التحضيض والحث[42]؛ يقول"الزّمخشري": « التحريض المبالغة في الحث على الأمر»[43].ومنه التحريض على القتال، أي: « الحث والإحماء عليه»[44].

ويقول "ابن عطيّة":«(حرِّض) معناه حُثَّهم وحُضَّهم»[45].وقرأ الأعمش[46]: « حرص بالصاد:من الحرص[47]» وقد ذكر "ابن عطيّة" بأنّ المعنى متقارب[48]، وقال "أبو حيّان": « وهو قريب من قراءة الجمهور بالضاد»[49].

و الحرص في اللغة:« شدة الإرادة والشره إلى المطلوب»[50].فالتقارب الدلالي بين القراءتين، متأتٍّ من البيئة السياقية التي وردت فيها الكلمة، فإذا كان التحريض على القتال، هو التحضيض والحث عليه، والإحماء عليه في قراءة الجمهور، فإنّ (حَرِّصْ) في قراءة الأعمش، تفيد ــ و الله اعلم ــ جعل المؤمنين شديدي الحرص على القتال

في شره وقوةِ إرادة، والذي لا شك فيه أن شدة إرادة القتال والحرص عليه لا يتأتيان إلا بعد الحث و التحضيض، فكأنّ التّحريض على القتال سبب، والحرصَ عليه، نتيجةٌ أو مسبب عنه.

إن إقامة صامت الصاد مقام صامت الضاد في كلمة (حرض) لم ينجرَّ عنه تطابق دلالي، بمعنى بقاء الدلالة المعنوية للكلمة على حالها، بل نجم عنه تقارب دلالي أسهم السياق اللغوي فيه، ومن ثَمَّ فنحن أمام صامتين هما فونيمان وظيفيان، يؤدي وضع أحدهما مكان الآخر إلى التفريق بين المعاني، أو إلى تغيُّر دلالي.

الإبدال بين السين و الزاي:

الزاي والسين تشاركان الصاد في المخرج، وهما مثلما يذكر "سيبويه" : « مما بين اللسان و فُوَيْق الثنايا»[51]، و عند ابن جني:« مما بين الثنايا وطرف اللسان »[52].

وفي الدرس الصوتي الحديث ، الزاي و السين صوتان صامتان ، وكلاهما صوت أسناني لثوي[53]مرقق رخو منفتح صفيري[54]، و الملاحظ أنّ الحبلين الصوتيين يهتزّان مع الزّاي فكانت مجهورة، في حين يسكن الحبلان الصوتيان ، مع صامت السين، الأمر الذي يكسبها صفة الهمس[55].

إنّ القوانين الصوتية تبيح وقوع الإبدال بين صامتَيْ الزاي والسين، ذلك بالنظر إلى اتحادهما في المخرج واشتراكهما في جل الصفات؛ فالزاي أخت السين، إلا أنّها مجهورة، في حين السين مهموسة، فلولا الجهر لكانت الزاي سينا، ولولا الهمس لكانت السين زايا، وعليه فلا بدع أن تُبْدَل الزاي سينا، أو السين زايا، في كثير من كلمات العربية، مما قد يكون له صلة بتباين اللهجات، ومن أمثلة ذلك: الأزد لغة في الأسد[56]، و تزلّع جلده و تسلع: تشقق[57]، وتحوست و تحوزت: انقبضت، والزعل والسعل:النشاط، ومعجز القوس و معجسها: مقبضها و نسغه ونزغه: طعنه[58].

وإذا ما جئنا إلى القراءات الشاذة، نجدها تبدل الزاي سينا تارة، وتبدل السين زايا، أخرى، وذلك في كلمتي (رجز) و(رجس).

إبدال الزاي سينا:

﴿**رِجْزَ الشَّيْطَانِ**﴾ [الأنفال:11] قراءة الجمهور:(رجز) بالزاي بمعنى العذاب، أو الكيد و الوسوسة[59]، وقرأ أبو العالية:(رجس) بالسين، وذُكرت(رجس)على أنها قراءة لأبي عبلة[60]، يقول العبكري:« و يُقرأ ــ بالسين ــ قيل السين بدل من الزاي، وقيل رجس الشيطان وسوسته، وأصل الرجس: الشيء القذر والرجز: العذاب»[61]، وذكر ابن جني أن قراءة الجماعة، رجز الشيطان معناه كمعنى: رجس الشيطان[62].

إبدال السين زايا:

أبدلت السين زايا في قوله عزّ وجلّ:﴿ **وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ..**﴾[يونس:100]؛ قراءة الجمهور:(الرجس) بالسين، وجاءت قراءة الأعمش[63](الرجز) بإبدال السين زايا، والرجس في اللغة القذر، يقول ابن جنّي:«كل شيء يُستقذر عندهم فهو رجس، كالخنزير ونحوه»[64]، والرجس أيضا العذاب، يقول "ابن سيدة":«...والرجس العذاب كالرجز..»[65].

و الرجس حسب سياق الآية هنا، بمعنى الخذلان، أو العذاب أو الإثم و السخط والغضب أو الشيطان[66]، يقول"ابن عطيّة":« و"الرجس" يكون بمعنى العذاب كالرجز، ويكون بمعنى القذر والنجاسة ...وفي هذه الآية بمعنى العذاب »[67].

ويقول"الزّمخشري"عن الرجس:« وهو الخذلان...و سُمّي الخذلان رجسا، وهو العذاب ، لأنه سببه... » [68].

فالزاي تارة هي الأصل في قراءة الجمهور، فتأتي القراءة الشاذة فتبدلها سينا هكذا: رجز رجس، ثم وجدنا قراءة الجمهور بالسين:فجاءت القراءة الشاذة فأبدلتها زايا هكذا: رجس رجز. وقد عُدَّ هذا من الإبدال، وذلك لوشائج القرابة الصوتية بين الصامتين؛ فيكفي أن تتنازل الزاي عن جهرها، وتستعيض عنه بالهمس، لتصبح سينا، وما على السين إلاّ تترك الهمس، بِعدِّه صفةً ضعيفة، وتستعيض بصفة الجهر التي هي صفة قوةٍ، فتصبح زايا.

والملاحظ أنّ كلمتي (رجز) و(رجس) تتقاطعان في بعض معانيهما فتصبحان كلمة واحدة، تحمل دلالة العذاب، ومن ثَمَّ وجدنا اللغويين يقولون:«الرجس العذاب كالرجز»[69]، ووجدنا "العكبري" يقول:عن "الرجز":« قيل السين بدل من الزّاي»[70]، وهذا"الرّازي" يقول« الرجز القذر مثل الرجس»[71]، وعليه فأصل(الرجس)القذر وأصل(الرجز)العذاب إلاّ أنّ الكلمتين تصبحان كلمة واحدة ، تستعمل للدلالة على معنى أختها.

إبدال الهمزة هاء:

الهمزة والهاء في نظر القدماء صوتان حلقيان يخرجان من أقصى الحلق، وتوصف الهمزة بالجهر والشدة، أمّا الهاء فصوت مهموس رخو أو احتكاكي[72] وفي الدرس الصوتي الحديث:الهمزة والهاء صوتان حنجريان أو مزماريان،الأول انفجاري شديد والثاني احتكاكي[73]وإذا كانت الهمزة، عند القدماء صوتا مجهورا فهي عند المحدثين صوت مهموس، أو هي صوت لا هو مهموس، و لا هو مجهور[74]، وتبقى الهاء عند الفريقين صوتا مهموسا، ومن المحدثين من نبّه إلى أنه يجهر به في ظروف لغوية خاصة[75].

إنّ وحدة مخرج كل من الهمزة والهاء، واشتراكهما في بعض الصفات جعل هذين الصامتين يبدلان من بعضهما؛ وقد أوردت كتب المعاجم واللغة، كلمات كثيرة يبدل فيها أحد الصامتين من الآخر، مع الإشارة إلى ما يكون لذلك من صلة باختلاف لهجات العرب، يقول الزبيدي:« تبدل الهمزة هاء للقرب الذي بينهما من حيث إنهما من أقصى الحلق، فجاز أن يبدل كل منهما من صاحبه...»[76].

يقول الأزهري:«العرب تقول أيم الله وهيم الله... الأصل أيمن الله، وقلب الهمزة هاء فقيل:هيم الله»[77].

و يقول "ابن منظور":« وقد تبدل الهاء همزة [هيهات] فيقال:أيهات، مثل: هراق وأراق»[78]،ويقول في موضع آخر: « ومن العرب من يقول: هَنَا وهَنْتَ بمعنى أنا وأنت»[79].

ومن أمثلته أيضا:أنرت الثوب وهنرته إذا جعلت له علما[80] وأراح وهراح دابته، وهيا وأيا وأرقت الماء وهرقته[81] وأراد و هراد وأقام و هقام[82]ولهنك أصلها لإنّك وهياك في إياك[83].

وجاء إبدال الهمزة هاءً في شواذ القراءات، في قوله عز وجل:﴿ **قَالُوْا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونْ**﴾ [يس:19]قراءة الجمهور:(أَئِنْ) بهمزتين؛ مفتوحة فمكسورة، وقرأ الحسن[84]:(أَهِنْ) بإبدال الهمزة الثانية هاء مكسورة.

إبدال الهاء ياء:

سبقت الإشارة إلى أن "الهاء" في الدرس اللغوي القديم صوت حلقي يخرج من أقصى الحلق، وهو صوت رخوي مهموس[85]، وهو عند المحدثين صوت حنجري أو مزمـــاري احتكاكي (رخو) يتصف بالهمس[86].

وإذا ما جئنا إلى صوت "الياء" عند القدماء فهو يخرج « من وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى»[87]، وهو صوت مجهور[88]أمّا المحدثون فيعدون الياء صوتا حنكيا مجهورا مائعا[89] يحدث عندما« يزداد ممر الهواء اتساعا بين الحنك الصلب ومقدمة اللسان، ويهتز الحبلان الصوتيان» [90]، ومما تذكره كتب المعاجم مثالا على الإبدال بين الهاء والياء قولهم: دهدت الحجارة ودهديتها إذا دحرجتها وتدهده الحجر وتدهدى[91].

وقد جاء إبدال الهاءِ ياءً في القراءات الشاذة، في كلمة واحدة هي «هذه» في مواضع عدة هي:﴿ **وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ** ﴾ [البقرة:35] و ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوْا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**﴾ [البقرة:58] وقوله عزّ وجل: ﴿ **... وَ قَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾ [الأعراف:20] وقوله سبحانه:﴿**هَذِهِ الْبَلْدَةِ...**﴾[النمل:91] فقراءة الجمهور في المواضع السالفة:(هذه) بالهاء، وقرأها ابن محيصن:[92] «هذي» بالياء.

ونشير إلى أنّ هذا الإبدال هو عودة بالكلمة إلى أصلها؛ إذ الأصل في «هذه»:(هذي) وعليه فالهاء الثانية من "هذه" في قراءة الجمهور، مبدلة من الياء في القراءة الشاذة:«هذي» يقول"الزّمخشري": « والأصل الياء والهاء بدل منها»[93] وعليه فنحن أمام إبدال الياء هاء وليس العكس، ولكن كان المنطلق من التعريف اللغوي للإبدال، الذي هو رفع الشيء وإقامة آخر مقامه، أضف إلى ذلك أن خط الدراسة يبدأ من قراءة الجمهور ليصل إلى القراءة الشاذة، وهذه الأخيرة حَذفتِ الهاء من «هذه» وأقامت الياء مقامها.

وقد أشار ابن جني إلى أن الياء هي الأصل والهاء بدل منها، حيث يقول:« ...وإنّما الهاء في (ذِهِ) بدل من الياء في (ذي) يدل على الياء الأصل: قولهم في المذكر: (ذا) فالألف في (ذا) بدل من الياء في «ذي» وأصل (ذا)عندنا "ذي"، وهو من مضاعف الياء مثل "حيٌّ"، فحذفت الياء الثانية التي هي لام تخفيفا فبقي ذَي، قال لي أبو علي: فكرهوا أن أشبه آخره آخر كَيْ وأيْ، وأبدلوها ألفا كما أبدلت في باءس ويايس..» [94] وذكر العبكري،أن(هذه) تقرأ:(هذي) بحذف الهاء ووضع الياء موضعها، وذلك على الأصل، ووصف (هذي) بأنها لغة جيدة[95].

إنّ الذي أباح إبدال الهاء، ياءً، هو قرب شبهها بالياء، إذ الياء مَدَّةٌ والهاء نَفَسٌ[96]، يقول "سيبويه" :«..كما أن دهديت هي فيما زعم الخليل دهدهت، بمنزلة دحرجت، ولكنه أبدل الياء من الهاء لشبهها بها، وأنها في الخفاء والخفة نحوها، فأبدلت كما أبدلت من الياء في هذه»[97].ويذهب بعض المحدثين إلى أن القوانين الصوتية لا تبيح وقوع الإبدال بين الهاء و الياء، وذلك في نظرهم، لانعدام القرابة الصوتية بينهما؛ لبعد المخرج واختلاف الصفات، ومن ثَمَّ فلا مسوِّغ للتبادل بينهما، إذ يفسر حلول الياء محل الهاء، لأجل المخالفة الصوتية، بمعنى لأجل منع المماثلة ورفع الثقل الناتج عن مماثلة الهاء في أول«هذه» للهاء في آخرها[98].

وإذا كانت القراءة الشاذة لـ:(هذه) بإحلال الياء محل الهاء، هي عودة بالكلمة إلى نطقها الأصلي، فإن ذلك أيضا لا يعدو أن يكون من باب اختلاف لهجات العرب، فقد ذكر "سيبويه" أنّ بني تميم، يقولون: «هذه» حال الوقف، أمّا عند الوصل فيقولون:

«هذي فلانة»، أمّا الحجازيون وغيرهم من قيس فيقولون : "هذه" وقفا ووصلا، في حين نجد طيِّئا تقول: "هذي" حال الوصل و الوقف[99].

ولعل الذي يبرر ميل القبائل البدوية إلى استعمال «هذي» هو ميلها إلى السرعة في أداء كلمات اللغة و إلى خفة الأداء، وهذا يتحقق مع الياء لخفتها وخفائها في حين يجنح أهل الحضر إلى إظهار الهاء فيقولون «هذه» لأنهم: « يحرصون على إعطاء الصوت حقه كاملا في البيان بدون أن يؤثر عليه صوت قريب أو مجاور له»[100].

وفي الأخير يستقر لدينا، أن الإبدال بين الصوامت مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات، وفي إطار هذا الاختلاف، يمكن أن تفسر الكثير من نماذجه، « فبعض القبائل تفضل حرفا معينا، في حين أن قبائل أخرى تفضل حرفا آخر»[101].

إنّ وشائج القرابة الصوتية المشترطة بين الصامت المبدل والصامت المبدل منه، تصب في مجرى الانسجام الصوتي وسهولة النطق والاقتصاد في الجهد العضلي، وتعد أثرا من آثار نظام اللغة الصوتي.

يقول "فندريس":« في كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، فهي تُكوِّن نظاما متجانسا مغلقا تنسجم أجزاؤها كلها فيما بينها، هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات، وهي ذات أهمية قصوى لأنها تثبت أن اللغة لا تكون من أصوات منعزلة، بل من نظام الأصوات»[102].

الإحالات

(1) ــ معجم مقاييس اللغة، تح : وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل، لبنان ، ط:1411،01هـ ــ1991م، مادة:(بدل).

(2) ــ المخصص لابن سيدة، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د – ط ــ ت،مادة:(بدل).

(3) ــ الكليات"معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، د:عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط:1419،02 هـ ــ1988م، ص:31.

(4) ــ شرح المفصل.موفق الدين يعيش بن علي النحوي، تصحيح وتعليق، جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، مصر ، د ــ ط ــ ت.،10/7.

(5) ــ الصاجي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق وتقديم د: عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف مصر، ط:01 ،1414هـ ــ 1993م،ص:209.

(6) ــ فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات دار الحياة ، لبنان، د ــ ط ــ ت،ص:247.

(7) ــ يُنظر: النحو الوافي ، عباس حسن، دار المعارف،مصر، ط:03 ،1974م،758/4.و القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، حمدي سلطان أحمد العدوي، تقديم: محمد حسن جبل ، و سامي عبد الفتاح، دار الصحابة، مصر، ط:01 ،1427هـ ــ 2006 م،266/1،265.

(8) ــ القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية.حمدي سلطان أحمد العدوي،تقديم: محمد حسن جبل ، و سامي عبد الفتاح، دار الصحابة، مصر، ط:01 ،1427هـ / 2006م،266/1.

(9) ــ الكتاب.أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر "سيبويه" ، تحقيق وشرح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،و دار الرفاعي،الرياض ، ط:02 ، 1402هـ / 1982م،237/4.

(10) ــ المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ط:03 ، 1415هـ ــ 1994م،199/1.

(11) ــ لسان العرب.ابن منظور، تحقيق:عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف،القاهرة، د.ط. ت، مادة:(بدل).

(12) ــ يُنظر:المزهر في علوم اللغة وأنواعها،عبد الرحمان جلال الدين "السّيوطي" ،شرح وضبط وتصحيح:محمد أحمد جاد المولى وآخران،دار الجيل،بيروت،د ــ ط ــ ت،474/1.

(13) ــ الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تح:فخر الدين قباوة، الدار العربية للكتاب، ليبيا،ط:05، 1403 هـ ــ 1983م ،319/1.

(14) ــ القاموس المحيط، للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي،عالم الكتب، بيروت، د ــ ط ــ ت، مادة:(بدل).

(15) ــ ومجموعة الشافية من علمَيْ الصرف والخط، بشرح الچاپردي، عالم الكتب، بيروت، دــ ط، 1311هـ، 329/1.

(16) ــ شرح الشافية، تحقيق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:01 ،1420 هــ ــ 2000 م،367/2.

(17) ــ القاموس المحيط ، مادة:(بدل).

(18) ــ شذا العرف في فن الصرف،أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، دار الكيان، الرياض، د ــ ط ــ ت،ص:200.

(19) ــ يُنظر: الصاجي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها.أحمد بن فارس، تحقيق وتقديم:عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف مصر، ط:01 ،1414هــ – 1993م، ص:209، و فقه اللغة وأسرار العربية.أبو منصور الثعالبي، منشورات دار الحياة، لبنان، د ــ ط ــ ت، ص:247، ومجموعة الشافية بشرح الچاپردي،329/1.

(20) ــ القراءات القرآنية في ضوء اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ــ ط ،1994م، ص:75.

(21) ــ التطور النحوي للغة العربية، إخراج وتصحيح وتعليق:رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، و دار الرفاعي،الرياض، د ــ ط،1402هــ ــ 1982م،ص:33.

(22) ــ الخصائص.أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط:04 ، 1999م،84/2.

(23) ــ المخصص .ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة، د.ط . ت،267/13.

(24) ــ نفسه،268/13.

(25) ــ نفسه،268/13.

(26) ــ اللهجات العربية في التراث.أحمد علم الدين الجندي،الدار العربية للكتاب،ليبيا ــ تونس،د ــ ط،1983م،348/1.

(27) ــ من أسرار اللغة.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط:08، 2003م، ص:75.

(28) ــ التعريفات.الشريف الجرجاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط:1419،01هــ / 1998م، ص:05. وانظر المخصص:268/13،267.

(29) ــ فردينا نده سوير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة، يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة ،الجزائر، د ــ ط ،1986م، ص:180.

(30) ــ الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،ط:01،1425هـ ــ 2005م، ص:48.

(31) ــ نفسه، الصفحة نفسها.

(32) ــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها.عبد الرحمان جلال الدين السّيوطي، شرح وضبط وتصحيح:محمد أحمد جاد المولى وآخران، دار الجيل،بيروت،د ــ ط ــ ت،461/1.

(33) ــ الصاجي في فقه اللغة، ص:209.

(34) ــ الكتاب.أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر "سيبويه" ، تحقيق وشرح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، و دار الرفاعي، الرياض ، ط:02 ، 1402هـ / 1982م،433/4.

(35) ــ سر صناعة الإعراب.أبو الفتح عثمان بن جني،تحقيق:محمد حسن محمد إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر،دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان،ط:02، 1428هـ/2007م ،60/1.

(36) ــ الكتاب،433/4.

(37) ــ سر صناعة الإعراب،60/1.

(38) ــ يُنظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ، د ــ ط ،1997م – 1419هـ،ص:316، و استخدامات الحروف العربية، سليمان فياض، دار المريخ للنشر،الرياض، د ــ ط ــ ت ،ص:72،76.

(39) ــ مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، محمود يحي سالم الجبوري ، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط:01 ، 2006 م – 1427 هـ ، ص:52، واستخدامات الحروف،ص:72،76.

(40) ــ الأصوات اللغوية،إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط:03 ، د ــ ت، ص:68، ودارسة الصوت اللغوي، ص:316، ومفهوم القوة والضعف في الأصوات العربية ، ص:52.

(41) ــ يُنظر: المزهر،551/1،550.

(42) ــ الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان: ط:04، 1404 هـــ/ 1984م، مادة:(حضض) ولسان العرب لابن منظور، مادة:(حرض).

(43) ــ الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي،شرح وضبط ومراجعة:يوسف الحمادي، مكتبة مصر،مصر،د. ط، 269/2.

(44) ــ الصحاح، مادة:(حرض).

(45) ــ المحرر الوجيز،449/2.

(46) ــ البحر المحيط،351/5.

(47) ــ يُنظر: الكشاف،270/2، والبحر المحيط،351/5، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري، تحقيق ضبط وتعليق:عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار السعادة للطباعة، مصر ، ط 1424،1 هـــ ــ 2003م،313/1.

(48) ــ المحرر الوجيز،449/2.

(49) ــ البحر المحيط،351/5.

(50) ــ لسان العرب، مادة:(حرض).

(51) ــ الكتاب،433/4.

(52) ــ سر صناعة الإعراب،60/1.

(53) ــ المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشرف العربي، لبنان، ط:03، د ــ ت،28/1،25.

(54) ــ يُنظر:استخدامات الحروف العربية،ص:65،62،ومفهوم القوة و الضعف في أصوات العربية،ص:52،و المحيط في أصوات العربية،28/1.

(55) ــ يُنظر: أسرار الحروف، أحمد رزقة ، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط:01 ، 1993،ص:84.

(56) ــ لسان العرب، مادة:(أزد).

(57) ــ نفسه، والمزهر،467/1.

(58) ــ المزهر،467/1.

(59) ــ البحر المحيط،283/5، و معجم القراءات.عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق،ط:01 ، 1422ه ــ 2002م،270/3.

(60) ــ معجم القراءات، لــ:عبد اللطيف الخطيب،270/3ــ270.

(61) ــ إعراب القراءات الشواذ .العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، تحقيق ضبط وتعليق:عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار السعادة للطباعة، مصر ، ط 1424،1 هــ / 2003م،305/1ــ306.

(62) ــ المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها . أبو الفتح عثمان بن جني،دراسة وتحقيق:محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط:01، 1419هــ/1998م،390/1.

(63) ــ البحر المحيط،109/6.

(64) ــ المحتسب،390/1.

(65) ــ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، مصر، ط:01، 1377 هــ 1958م،191/7.

(66) ــ يُنظر: الكشاف،384/2، و البحر المحيط،109/6.

(67) ــ المحرر الوجيز،145/3.

(68) ــ الكشاف،384/2.

(69) ــ المحكم والمحيط الأعظم ، مادة:(رجس).

(70) ــ إعراب القراءات الشواذ،305/1.

(71) ــ مختار الصحاح، مادة:(رجز).

(72) ــ يُنظر: الكتاب،435/4،434،433 وسر صناعة الإعراب،203/2.

(73) ــ يُنظر: دراسة الصوت اللغوي، ص:319، والمحيط في أصوات العربية،28/1، واستخدامات الحروف،ص:114.

(74) ــ دراسة الصوت اللغوي،ص:345.

(75) ــ الأصوات اللغوية،ص:77.

(76) ــ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، مادة:(هبق).

(77) ــ تهذيب اللغة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، القاهرة، د ــ ط ،1967 ، مادة:(يمن)، يُنظر: لسان العرب، مادة:(يمن).

(78) ــ لسان العرب، مادة:(هيه).

(79) ــ نفسه، مادة:(هنا).

(80) ــ لسان العرب،مادة:(هنر).

(81) ــ المزهر،462/1.

(82) ــ تاج العروس، مادة:(هرق).

(83) ــ الصحاح ، مادة:(لهن).

(84) ــ البحر المحيط،54/9 ومعجم القراءات للخطيب،470/7.

(85) ــ الكتاب،434/4،433، وسر صناعة الإعراب،203/2.

(86) ــ دراسة الصوت اللغوي،ص:319، والمحيط في أصوات العربية،28/1، واستخدامات الحروف، ص:114.

(87) ــ الكتاب،433/4.

(88) ــ نفسه،434/4.

(89) ــ استخدامات الحروف العربية،ص:121.

(90) ــ أسرار الحروف، لأحمد زرقة،ص:82.

(91) ــ لسان العرب، مادة:(دهده).

(92) ــ المحتسب،354/1 والبحر المحيط،256/1، و الميَسَّر في القراءات في القراءات الأربع عشرة.محمد فهد خاروف، مراجعة:محمد كريم راجح، دار الكلم الطيب،دمشق ــ بيروت،ط:01، 1420هـ/2000م، ص/385،9،6.

(93) ــ الكشاف،148/2.

(94) ــ المحتسب،354/1.

(95) ــ إعراب القراءات الشواذ،77/1، و 118/2.

(96) ــ لسان العرب،مادة:(دهده).

(97) ــ الكتاب،393/4.

(98) ــ يُنظر: اللهجات العربية نشأة وتطورا. عبد الغفار حامد هلال،مكتبة وهبة،القاهرة، ط:02، 1408هـ/1993م، ص:286.

(99) ــ يُنظر: الكتاب،182/4.

(100) ــ اللهجات العربية في التراث،496/2.

(101) ــ اللهجات العربية نشأة و تطورا،ص:161.

(102) ــ اللغة.ج.فندريس، تعريب:عبد الحميد الدواخيلي ومحمد القصاص، المكتبة الأنجلو المصرية، د ــ ط ــ ت.ص:62.